

تفسير البحر المحيط

@ 478 @ المَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ { تفسيراً وقراءة في أوائل سورة الحج . { إِنَّ }
الَّذِي أَحْيَاهَا * فَنَنْظُرُ إِلَيْهِ { : يرد الأرواح إلى الأجساد ، إنه على كل شيء قدير
: لا يعجزه شيء تعلقت به إرادته . .

{ إِنَّ } الَّذِينَ يُلَاحِدُونَ فِعْدَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
يُلَاقِي * إِنَّ } الَّذِينَ يُلَاحِدُونَ فِعْدَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
يُلَاقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي * إِنَّ } الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ
لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لََّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا
مَا قَدْ قِيلَ * مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ
* وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ *
أَعْجَمِيٌّ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ * قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . .

لما بين تعالى أن الدعاء إلى دين الله أعظم القربات ، وأنه يحصل ذلك بذكر دلائل التوحيد
والعدل والبعث ، عاد إلى تهديد من ينزع في تلك الآيات ويجادل ، فقال : { إِنَّ }
الَّذِينَ يُلَاحِدُونَ فِعْدَايَاتِنَا { ، وتقدم الكلام على الإلحاد في قوله : {
وَذَرُّوا * وَالَّذِينَ * يُلَاحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } ، وذكر تعالى أنهم لا يخفون
عليه ، وفي ذلك تهديد لهم . وقال قتادة : هنا الإلحاد : التكذيب ، ومجاهد : المكاء
والصفير واللغو . وقال ابن عباس : وضع الكلام غير موضعه . وقال أبو مالك : يميلون عن
آياتنا . وقال السدي : يعاندون رسلنا فيما جاءوا فيه من البينات والآيات . ثم استفهم
تقريراً : { أَفَمَنْ * يُلَاقِي * فِي النَّارِ } ، بإلحاده في آياتنا ، { خَيْرٌ أَمْ
مَنْ يَأْتِي تِلْكَ آمِنًا } ، ولا اشتراك بين الإلقاء في النار والإتيان آمناً ، لكنه ، كما
قلنا ، استفهام تقرير ، كما يقرر المناظر خصمه على وجهين ، أحدهما فاسد يرجو أن يقع في
الفساد فيتضح جهله ، ونبه بقوله : { يُلَاقِي * فِي النَّارِ } على مستقر الأمر ، وهو
الجنة ، ويقول : { مَنْ } على خوف الكافر وطول وجله ، وهذه الآية ، قال ابن جرير : عامة
في كل كافر ومؤمن . وقال مقاتل : نزلت في أبي جهل وعثمان بن عفان . وقيل : فيه وفي
عمار بن ياسر . وقيل : فيه وفي عمر . وقيل : في أبي جهل وحمزة بن عبد المطلب . وقال

الكلبي : وأبو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم) . .

ولما تقدم ذكر الإلحاد ، ناسب أن يتصل به من التقرير من اتصف به . ولم يكن التركيب :

أَمْ مِنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ، كما قدم ما يشبهه في قوله : {

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْزَمًا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى

{ ، وكما جاء في سورة القتال : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ

رُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ } . { أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ } : وعيد وتهديد بصيغة الأمر

، ولذا جاء { إِنْزَمَهُ بِمَا * تَعْلَمُونَ * بِصِيرٍ } فيجازيكم بأعمالكم . .

{ إِنْزَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِي كُذِّبُوا لَمَّا جَاءَهُمْ } : هم قريش ومن تابعهم من

الكفار غيرهم ، والذكر : القرآن هو بإجماع ، وخبر إن اختلفوا فيه أمذكور هو أو محذوف ؟

فقل : مذكور ، وهو قوله : { أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ } ، وهو قول

أبي عمرو بن العلاء في حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبي بردة . سئل بلال في مجلسه عن هذا

فقال : لم أجد لها نفاذاً ، فقال له أبو عمرو : وإنه منك لقريب { أُولَئِكَ

يُنَادَوْنَ } . وقال الحوفي : ويرد على هذا القول كثرة الفصل ، وأنه ذكر هناك من تكون

الإشارة إليهم ، وهو قوله : { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِعَادًا نَّهْمٌ وَقُرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمَى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ } . وقيل : محذوف ، وخبر إن يحذف لفهم المعنى

، وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو : معناه في التفسير : إن الذين

كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به ، وإنه لكتاب ، فقال عيسى : أجدت يا أبا عثمان . وقال

قوم : تقديره معاندون أو هالكون . وقال الكسائي : قد سد مسده ما تقدم من الكلام قبل إن

، وهو قوله : { أَفَمَنْ * يُلَاقِي * فِي النَّارِ } . انتهى ، كأنه يريد : دل عليه ما

قبله ، فيمكن أن يقدر يخلدون في النار . وقال الزمخشري : فإن قلت : بم اتصل قوله : {

إِنْزَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِي كُذِّبُوا } ؟ قلت